موطن الأرز وتاريخ زراعته فى مصر [1]

ان معلوماتنا عن موطن الارز محدودة ومتناقضة كما هو الحال فى غيره من الغلال العادية الاكثر استعمالا .

وقد قال «ألفونس دى كاندول» قد تكون الصين موطن الارز تلك البقاع المخترقة بالجداول والانهر والملائمة للنباتات المائية اذ بدأت زراعته فيها منذ ثمانية وعشرين قرنا قبل جيلنا ، وقد نشأ هذا الرأى من وصف «ستانزلاس جوليان» لحفلة أقامها الامبراطور الصينى «تشين نونج» ٢٨٠٠ عام قبل الميلاد وهو معبود ليومنا هذا في معبد واقع على قمة جبل «پوكوتشان» قريبا من «لون فو» جنوبى ولاية «تشانس» .

وعند الاعتدال الربيعى كانت تقام سنويا حفلة عمومية يحضرها امبراطور الصين مع الامراء والوزراء لحرث وزراعة خمسة أنواع من الحبوب وهم الغلة والارز والدخن ذات السنابل والدخن العنقودى وفول السويا وكان على الامبراطور المالك أن يقوم بنفسه بزراعة الارز . أما الانواع الاربعة الاخرى فكانت تقوم بزراعتها أفراد أسرته ، ويعتقد الصينيون أن الحبوب الخمسة المتقدمة حبوب بلدية .

وقد برهن «پوكيو» حديثا بأن احتفال الحبوب الخمسة لم يتأسس الا بعد هذا التاريخ بزمن ولم يذكر الارز بعد في الاحتفالات الاولى وهو من المعارضين في أن الارز موطنه الصين لانه لم يره خارج الحقول وهنا لا يسعنا الا عمل ملاحظة «دى كاندول» حيث قال بان النباتيين لم يجمعوا نباتات كافية من الصين وأن «لورترو» وجد أرزا في مستنقعات الهند الصينية .

ومع ذلك فيلاحظ أن «دى كاندول» لم يعتبر تلك الجهة حدودا لموطن الارز الذى وجد على أشكال مختلفة برية في جهات أخرى . وأكد «روكسبرج» بأن الارز ينبت طبيعيا في بلاد «السركار» (Circars) وفي

---

(١) للمرحوم فيكتور بك موصيرى .

الهند حيث يسمونه هناك «بالنفارس» و «نفارا» لفظ هندى قديم وهو بلا شك يطلق على نفس النبات الذى لوحظ في جهة «دلهى» «بمراداباد» والارز البرى كثير الانتشار في ضواحى الخرطوم وفي أفريقيا الوسطى عند مصب نهر «السنغال» وشكل سنابل الارز تنبىء ببريته وقد وجد «فرديناد مولر» الارز على شكل برى في المنطقة المعتدلة لاستراليا .

نرى مما تقدم أن الارز البرى يوجد في آسيا وأفريقيا وأستراليا .

وقد وافق «دى كاندول» على وجود الارز في الهند قبل كل زراعة ولكنه يعتقد بأن الهنـدوس لم يزرعوا ويستعملوا هذا النبات الا بعد الصينيين وليس معنى ذلك أن هذه الزراعة حديثة العهد فى الهند بل ترجع على حسب قول هذا المؤرخ فى الهند الانجليزية الى اغارة «الارياس) Aryas لان الارز يسمى بالهند «فريهى أورينيا» المشتق منها أسماء كثيرة لهذه الغلة في لغات الهند الحديثة ويشتق منها أيضا الاسم اليونانى «أوروزا» أو «أورونزا» والاسم العربى «رز» أو «أرز» — وفي هذا العهد كان للارز مركز سام عند الهندوس فكانوا يسمونه «دهانيا» أى قوت البشر وكانوا يعتبرونه شعار بل آلهة السعادة واليسر ولكن في الحقيقة لم يكن أى جزء من هذا النبات مقدسا عندهم بل كانت بعض الانواع منهم تظهر في احتفالاتهم الدينية وعقائدهم المختلفة وقد ذكر المسيو «وات» أمثالا كثيرة في هذا الصدد منها أنه لا يجوز أكل الارز الا بعد الوضوء والفتيات اللواتى يشرعن في الزواج يقدمن الى الآلهة طبقا من الارز وقد شوهد الارز أيضا عند الاحتفال بمولود ذكر أو عند تكريس شخص «لبراهما» وبعد احتفال عقد الزواج وتلاوة الصلوات المعتادة كان يرش على رؤوس العروسين دقيق الارز الملون بالزعفران واللفظ الهندى «سيالا» يذكر تلك العادة التى كانت لاخ العروس بأن ينثر أرزا مشويا أثنـاء حفلة الزواج الدينية والنساء اللواتى يرغبن في الارتزاق بمولود ذكر كن يقدمن

لآلهتهن أرزا وزعفرانا ، وفى «الكتاك» كان الارز المسمى «بيالو» محرما في الاحتفالات الدينية لانه أقل نقاوة عن الارز «ساراد» ولان خالقه ليس «براهما» خالق الدنيا بل خلقه «فيسوا مترا» الحكيم •

وقال «دى كاندول» قد انتشر الارز من الهند قبل اثارة الاريوسيين الى الفرات وبابل وبعد الف عام الى سوريا ثم الى مصر بعد قرنان أو ثلاثة قرون •

والمساحة التى يشغلها الارز البرى في الهند تقابل الجهات المتداول فيها اسم «يورى» أو «ارى» أو ما يعادله في اللغات الوطنية المختلفة وهذا يجعلنا نفرض كما قال «السيرجورج وات» بأن زراعة الارز انتشرت من تلك الجهة الى باقى أنحاء الهند وأخيرا الى ما بعد «الهمالايا» ويقول «دى كاندول» أن هذا النبات النافع انتشر قبل الثورة الارسيوسية ويمكن زيادة القول بأن الاسماء الوطنية للنبات البرى بقيت متداولة حتى اندمجت تدريجيا باللغات المعروفة • والبحث الدقيق في آداب اللغة الهندية للوقوف على تاريخ الفاظها قد يبعث نورا أكثر الى هذا الموضوع •

ومما يحتمل أن علماء الهند عرفوا الارز قبل آخر «فداس» (Vadas) وأغلب الاسماء المستعملة في أعالى الهند لتسمية النبات والحبوب مشتق كثير منها من أصول هندية والاسماء الكثيرة المزدوجة الاستعمال في منطقة الارز البرى تؤيد هذا الاستنتاج وقد قال «ليول» الشهير بأنه لاشك أن الاسماء العربية للارز ليست مشتقة من التامول «أريندى» •

ولا يمكن اعتبار بلاد العرب موطنا للارز فان كان مزروعا الآن في الجهات المنخفضة على طول الشواطىء الغربية للخليج الفارسى في بلاد اليمن فان هذه الزراعة حديثة • والمنطقة الكبرى التى عرفوا العرب فيها لاول مرة الارز واقعة فيما بعد بلاد العرب أى في بابل ما بين أعالى الفرات والدجلة • والاسماء العربية هى : «أروز» و«أوروز»

و«أرز» و«رتز» واللفظ الاخير يستعمل فقط في لغة قبيلة «عبد العاصى» في «أمان البخرين» وفي بابل اللفظ الارمى المشتق عن الفارسية كان «أوروزا» وعرفوا اليونان هذا النبات من تلك الجهات لا من «بكتريا» .

ويقول أيضا «ليول» بأنه لا يعرف في اللغة الفارسية القديمة أمثالا للاشتقاق الحديث «برنج» بل ان الاشكال العربية الارمية تدل بوضوح بأن هذا الاشتقاق هو الاسم «فرنزى» و «فرنزا» وهذا ما يؤيده اللفظ «برنز» الارمنى و «ريزا» و «وجرنج» (وهنا حرف ج يعادل حرف و) «وفرنزى» تعادل تماما اللفظ الهندى «فريهى» (وهنا الهاء في الهندية تعادل (ز) فى الفارسية القديمة) ولكن الكلمات الفارسية التى تحتوى على (ز) المعادلة للهاء الهندية ليست مشتقة من اللغة الهندية بل هى شقيقات متجانسة ترجعنا الى العهد الذى كان فيه فرعا الاريوسية عائشين جنبا لجنب ولكل فرع الفاظه الخاصة المشتقة من لغة قديمة . ومن المؤكد الآن بمقابلة اللفظين «فرنزى» و «فريهى» أن الفارسيين لم يأخذوا زراعة الارز عن الهند بل كان يزرع في المنطقة التى كان يعيش فيها الفرعان معا قبل نزول الهنود الاريوسيين الى سهل «البنجاب» وقبل احتلال الفارسيين الاريوسيين «لاران» واذا كانت هذه الجهة هى «بكتريان» التى ذكرها «سترابون» بأنها منطقة واسعة لزراعة الارز فيكون الاسم مشتق منها ويتبين بوضوح أنه لم يكن مشتقا من الهند ولا ينتسب لاسم «تامول» المتداول اليوم .

واللفظ «فريهى» أو «فرنزى» منتسب الى الاسماء السامية وللاسم «أروزا» اليونانى الذى أخذ عن الارمى البابلى ومن هنا يتبين بأنه من من الاصل المشتقة منه الاسماء الاوروبية عدا الاسم الاسبانى الذى اشتق من اللغة العربية .

ويذكر المسيو ليول ما كتبه «فكنورهمن» عن اللفظ القديم الذى استعمله «سوفوكل» وهو «ارندس ارتوس» المشتق من الفارسية

والمعادل لكلمة «فرنزى أو فرانزا» التى ليس لدينا منها أمثالا فى هذه اللغة ونذكر هنا تأييدا لما تقدم بأن في عهد «سوفوكول» كانت اليونان في صلة متتابعة مع فارس .

نرى أن الادلة النباتية والادلة اللغوية ليست متحدة في هذه النقطة ولكن يمكن أن نفرض كما لاحظ «السير جورج وات» بأنه اذا كان اللفظ القديم الفارسى الذى تشتق منه الاسماء العربية واليونانية والاوروبية ليس أصله من اللغة الهندية بل شقيق لها فكأن الزراعة الارزية نشأت في مهد الاريوسية واذا اعتبرنا هذا المهد في أية جهة من آسيا الوسطى فيكون من المحال الاعتقاد بأن الارز البرى أنبت فيها يوما ما . وليس لدينا أى دليل يثبت أن زراعة الارز في آسيا الجنوبية ترجع الى عهد قديم . وربما كان هناك مجال للاعتراض على عدم ذكر نبات ثمين كهذا ولكن لا يرى «السير جورج وات» أن هذا الاعتراض جدى لان هذا الشعب الاريوسى المحتل ما كان الا شعبا من الرعاة لم يقدر أهمية لهذا النبات قبل أن يتعاطى مهنة الزراعة .

ويستنتج السير وات بأن الموطن الاساسى للنبات البرى ينحصر اجماليا من الهند الجنوبية الى الهند الصينية وهذه المنطقة تحتوى على مستنقعات ومتمتعة بجو معتدل وفصول أمطارها غزيرة متقطعة خلاف الفيضان السنوى وهذه الظروف تلائم جدا زراعة الارز . وتكون هذه الزراعة قد انتشرت عام ٣٠٠٠ ق.م. من تلك البقاع شرقا الى الصين وربما انتشرت قبل ذلك غربا وشمالا مخترقة الهند وفارس وبلاد العرب ثم الى مصر فأوروبا . وكان قدماء الرومان في عهد الامبراطورية يعرفون الارز وانما كانوا يعتبرونه نباتا طبيا ، وكانوا يصنعون منه شرابا غرويا ومن الضرورى أن أقواما متنورة كأهل الصين قد أعطوا أهمية لزراعة الارز أكثر من القبائل الوطنية القاطنة في مستنقعات الهند السفلى التى اكتفت بما كان لديها من الارز البرى كما اكتفت كذلك القبائل الاسترالية بأرزها البرى المسمى هناك «كينايا» ولم يفكروا في زراعته قط ولا زراعة أى نبات آخر .

بجانب هـذا الفرض الذى ينسب الى الارز موطنا أسويا والذى سلم به أغلب علماء هذا العصر يجدر بنا ذكر ما قاله «شوينفارت» :

يقول هذا الرحالة بأن الهند وصلها الارز من منطقة أفريقيا المعتدلة لان صلات الهند بأفريقيا الشرقية ترجع الى عهد بعيد ولا يمكن التسليم بخلاف ذلك بدليل أن الارز البرى O. Pouctata المنتشر كثيرا في أفريقيا المعتدلة لا تختلف مميزاته النوعية كثيرا عن الانواع المزروعة O. Sativa

نرى مما تقدم أن الموطن الحقيقى للارز المزروع هو أفريقيا لا آسيا وما لدينا من الادلة والافتراضات التاريخية واللغوية تترك تاريخ الارز مظلما والذى لا جدال فيه أن الارز المزروع O.Sativa كان مجهولا عند قدماء المصريين حيث لا نرى له رسما ولم يكن ضمن الحبوب التى وجدت في توابيت الفراعنة .

ومن المؤكد أيضا أن مصر لم تزرع هذا النبات الا بعد الصين والهند وفارس وبلاد العرب وسوريا .

و«سترابون» المؤرخ الذى زار مصر وسوريا لم يذكر الارز في تاريخه ولكنه ذكر بأن «الجرامانت» الذين قطنوا واحة قبلى قرطاجنه كانوا يزرعونه في هذا العهد .

ويذكر نفس المؤرخ بأن هذه الزراعة كانت نظامية في عهد الاسكندر عام ٤٠٠ ق.م. في جهة الفرات وفي أوائل هذا الجيل فى سوريا في جهاتها الحارة المروية .

ولم يذكر الارز في العهد القديم من الكتاب المقدس لكنه ذكرت زراعته مرارا في التلمود .

ويقول «دليل» أن تشابه اسم «أوليرا» (نوع غلة) «وأريزا» الارز جعل مجالا للخلط بين النوعين . ويذكر «بلين» في هذا الصدد أن مؤرخا كان يخلط ما بين «الاوليرا» و«أوريزا» فقد قال «جوجيه» ان ليس ببعيد أن الاوليرا هى الاوريزا .

ويقول «شو» بأن لفظ «قسمت» الذى جاء في التوراة العبرية قد يكون القصد به الارز ولكن مترجم تاريخ «شو» استعمل كلمة «أوليرا» لتفسير كلمة «قسمت» التى لها جملة معان في التوراة ولكن برهن «سلسيوس» بأن «أوليرا» معناها الحقيقى نوع من الغلة .

وفي الجزء الثانى من عهد الغزوات العثمانية في مصر سنة ١٥١٧ وفي عهد الخلافة عرفت مصر الارز ولكننا نجهل الجهة التى جلبته منها وقد سلم «دى كاندول» بورودها من الاقطار السورية . أما «شونفورت» فقد اقتصر في قوله بأنها وردت من شرقى أفريقيا بواسطة الهند ومع كل فان الصلة بين الزراعة الواسعة الهندية ومصر ليست محدودة في وساطة فارس لان الطريق البحرى فتح على الاكثر في عهد البطالسة وكانت شبه جزيرة العرب نقطة اتصال بين البلدين ، وذكر جيلين في كتابه التاريخى الجغرافي عن أفريقيا الغربية بأنه يعتبر أن العرب كانوا بحارة في الاقيانوس الهندى ومن المؤكد أنهم كانوا في هذا الطريق المائى مثل ما كانوا في الطرق الارضية وسطاء للتجارة العالمية الفينيقية .

وبالرغم عن دخول الارز في مصر في عهد الخلافة فلم يذكره أى مؤرخ من مؤرخى العرب ومن الاغرب أن «المقريزى» لم يذكر الارز كما ذكر باقى النباتات المزروعة فى تلك البلاد ولكنه أشار اليها في تقويمه الزراعى اذ قال في وصفه بلدة «المدكية» من الحدود الغربية المصرية في ذاك الوقت المجاورة لارض «البنتابول» أو أرض «البركا» Berca كان يزرع الارز فى ١٤ بشنس (٢٣ مايو) وكان يحصد في أول بابه (١٠ أكتوبر) أى بعد ١٤٢ يوما بعد زراعته .

ويجب الرجوع الى الحملة الفرنسية لنرى المذكرات الثمينة التى وضعها علماء تلك الحملة ومعلوماتهم الجوهرية عن مصدر زراعة الارز في هذه الديار وقد جعل «جرار» ودليل لهذا الموضوع صفحات شهيرة بوضوحها ودقتها وغزارة ملاحظتها .

الخلاصة

وصفوة القول أنه بالرغم من وجود الارز البرى في آسيا وأفريقيا وأستراليا فمن المتفق عليه أن الانواع العديدة المزروعة موطنها آسوى .

وهناك احتمالات نباتية موجبة للاعتقاد بأن موطن الارز أفريقيا المعتدلة وانتقل منها الى الهند من عهد بعيد جدا وانتشر فيها في جهات مختلفة بدون أن يكون قد زرع كمحصول .

ولو أن زراعة الارز ترجع في الصين الى ٤٨ أو ٥٠ قرنا فمن المسلم به على العموم أنها نشأت في المنطقة الواقعة من الهند الجنوبية الى الصين الهندية ومن هذه المنطقة انتشرت هذه الزراعة ٣٠ قرنا ق.م شرقا عند الصين وقبل ذلك كانت قد انتشرت غربا وبحريا في الهند وفارس وبلاد العرب ثم الى مصر فأوروبا .

وهناك قرائن لغوية تدل بأن الفارسيين لم يأخذوا زراعة الارز عن الهند وكانت هذه الزراعة منتشرة قبل نزول الهند الاريوسيين الى سهل «بنجاب» وقبل احتلال الفارسيين الايروسيين «لايران» .

ومن المحتمل أن الاسماء العربية للارز لم تكن مشتقة من «التامول» «ارزى» بل من الارمى (السريانى) المستعمل فى بابل أى «أوروزا» . أو «أروزا» المشتق منها اللفظ اليونانى «أروزا» .

ولا جدال في أن اللفظ الارمى مأخوذ عن الفارسية — والاسم الهندى «فريهى» و «فرنزى» يقارب للاسماء السامية واليونانية «أوروزا» كأن أصله كأصل الاسماء الاوروبية عدا الاسم الاسبانيولى الذى اشتق عن العربية لذلك الاسم الفارسى القديم المشتق منه الاسماء العربية واليونانية والاوروبية ليس مأخوذا عن اللغة الهندية بل شقيق لها وهذا مما يؤيد الاقتراح الخاص بنشأته الافريقية .

وعلى أى الحالات فقدماء المصريين كانوا يجهلون الارز ولم تدخل هذه الغلة في مصر الا حديثا في عهد الخلافة وليس في مقدورنا تحديد موردها المباشر .